الفرق ان الساعة تنبه الناس الى الوقت وانت تذهلينهم عنه

*

تطاول مرة مضحك الملكة اليصابات عليها فحجبته عنها مدة ثم استدنته اليها وقالت له الان عفوت عنك فهل تعود الى سابق قوارصك قال لا ياسيدتي وقد امتنعت عن الحديث بكل ما يعرفه الناس

*

كانت السيدة سيفينيه الكاتبة الشهيرة واضعة كفيها مرة بين كفي رجل مدّعٍ ثم نزعتهما منه فقال له احد المشاهدين الحق اقول انه الان قد خرج اجلّ شيء من بين يديك

*

سأل رجل اخر هل استطيع ان اكون بلا اعداء بالاطلاق قال نعم ولا اسهل من ذلك قل لكل رجل ان كلامه صواب ولكل امرأة انها جميلة

*

قال عضو في دار ندوة لرفيقه لقد انقضت الجلسة كلها وما رأيتك فتحت فاك لشيء قال عجباً او لم ترني اتثاءب كل مدة خطابك

*

سأل رجل آخر هل يوجد في الدنيا من يضحك بلا سبب ففكر الرجل قليلاً ثم قال نعم كل امرأة ذات اسنان جميلة

انيس المجلس

﴿ الجزء العاشر — السنة الثانية ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٩٩ ﴾

﴿ الموافق ٢٦ جمادى الثانية سنة ١٣١٧ ﴾

الذوق في الكتابة

الكتابة او الانشاء بجملته سواء كان نظماً او نثراً من اشرف واجل ما نشأ مع الانسان او تولد عنه بل الانشاء هو الانسان حقيقة وبه تتفاضل مراتبه وتتفاوت مقادير عقله ونبله ولولا هذا القلم والقرطاس وهما آلة العقل ووسيلة ظهوره لما كان الانسان الا بهيماً او شبه بهيم كالمتوحش الذي قل ان يفرق عن البهيم بشيء من الجهة المعنوية

وليس من غرضنا في هذا المقال ان نبين طرق الانشاء او صحيح الكتابة من فاسدها فان ذلك مما يعدو طوقنا وهو من ولاية اصحابه والمشتغلين فيه ولكن قصدنا ان ندل على تأثير الكتابة في نفوس قرائها ونبين العلاقة

التي تربط نفس الكاتب بنفس القارئ من حيث الاقبال والنفور والود والكره فان ذلك لدى الحقيقة اجل من صحة الكتابة وفسادها من جهة وقعه على الخاطر وتأثيره في النفس

ومعلوم ان الناس تتفاهم باقلامها كما تتفاهم بالسنتها وكما انهم يتنافرون ويتقربون في حديثهم فكذلك هم في كتابتهم وعرض اقوالهم بعضهم على بعض. على انه ليس شرطاً ان يستثقل المرء نفس محدثه او يستلطفه لمباشرته اياه في الحديث فانه يكون معه على هذه الحالة وهو يسمع قوله الموجه الى غيره وما يكون في الحديث يكون في الكتابة ايضاً ولكن الكتابة ادق جداً من الحديث وقد يكون الكاتب على شدة بعده من القارئ وعدم تعارفهما قط اشد دلالة على نفسه من نفس المحدث القريب الذي تسمع صوته وتنظر اشاراته وحركاته وغير ذلك مما هو في ظاهره اوقع في النفس واكثر تأثيراً ولكنه في الحقيقة اقل من تأثير الكاتب البعيد وهذا من غريب وجدانات النفوس وسمو لطفها ورقتها

تطالع قول الكاتب وهو في الهند وانت في مصر فتتعشقه او تكرهه لا لفصاحة في قوله او سقم في عباراته بل لشيء في كتابته دل على نفسه وطرق عشرته وكيفية عيشه فاذا احببته فليس لانه افادك ودلك على الصحيح فقد يكون قال الخطاء وكتب ما ليس بصواب ولكن لان قوله لطف على نفسك فترسمه في خاطرك على الصورة التي تريدها وترضاها ثم انت تكرهه وهو يكتب الصواب واعتقادك فيه الحق وانما كرهته لشيء في اثناء كلماته خشن على نفسك وتجافى عن ذوقك فيرتسم لديك على اقبح ما تبغض

ولا يتوهمن القارئ ان هذا الشعور يكون بين نفس ونفس فقط

بل هو بين نفس ونفوس اي بين نفس الكاتب ونفوس قرائه فاذا حب احبه الجميع واذا كره كرهه كلهم وذلك على الغالب واذا لم يكن هذا فقد امتنع اذن ما نسميه بالذوق وامتناع هذا محال ما دام الشعور يثبته والاجماع على المحاسن ونقائضها يقر به ثم ان في هذا الذوق ما يتعلق بالعلم وشروط صحته والترجيح فيه وهو مختص باللفظ من حيث انه قالب للمعنى ومنه ما لا علاقة له بشيء من العلم وهو الذي نعنيه الان

انظر الى المتنبي شاعرنا العظيم تجده محبوباً من كل من يقرأ شعره وذلك ليس لسمو اشعاره وشرف معانيه بل لظرف نفسه ولطف شعوره ثم هو كان يتكبر ويختال كثيراً في شعره والكبرياء مكروهة ولكنه معها محبوب وذلك لانه لم يتكلفها تكلفاً بل جرت مع حقيقة نفسه فوردت بسيطة تدل على شرف نفسه وانه واصف ذاته بالصدق والحق على حين لا تجد هذا الافتخار محبوباً من ابي تمام مثلاً مع انه في طبقته بالبلاغة وعلو المعاني وذلك لانه يغالب نفسه ويريد انزالها حيث لا تنزل والذي يتفقد شعر ابي تمام يستثقل بعضه ولو كان وارداً في الطف الاغراض

ثم انظر الى البديع الهمذاني فانه معشوق من كل من قرأ رسائله وهو في النثر كالمتنبي في النظم وله هجو وافتخار كثير في اثناء كلامه وكلاهما مذمومان ولكنه على ذلك محبوب لان كلامه على علاته خفيف المحمل على الصدور مهما خشن معناه ولفظه وذلك لانه كان يرسل كلامه من عند نفسه اللطيفة فيتكفل الذوق بحسن ايرادها بما يضمن له محبة القارئ. وهذا الذوق انما هو عمدة الكاتب والشاعر والمحدث والخطيب وبدون الذوق لا يمكن ان يطيب كلام او يحلو شعر مهما كثرت سلامتهما من الخطأ وابتعدا

عن المعاني المبتذلة

هذا ابو العلاء المعري وهو شاعر ناثر مجيد ويكاد يكون ارفع منزلة من الهمذاني في لغة العرب وشروطها ولكنه على بلاغته وسلامة كلامه لا يقاس بشيء من جهة الذوق مع الهمذاني بل ان له من الرسائل ما يصح ان يعاقب بقراءتها كل ذي ذوق حسن وشعور لطيف غير اننا مع اعترافنا بما فات نفس المعري من هذا الذوق قياساً على بعض شعره فاننا في شك كثير من ان تكون تلك الرسائل صادرة من قلمه. وقس على هولاء الاعلام كثيرين من امثالهم ممن نزلوا ارفع درجة من الفصاحة والبلاغة فانهم على قلة التفاوت بينهم من حيث العلم وصحته متفاوتون جداً في الذوق والدلالة على لطف النفس

اما سبب هذا الذوق في النفوس فليس صادراً عنها بذواتها كالبخل مثلاً اذا كان في نفس فلا سبيل الى رده بل هو اذا كان فاسداً فقد يمكن اصلاحه وفساد الذوق انما يكون على الغالب صادراً عن كلام كثير في معنى واحد ولو كان المعنى جليلاً وعن الدعوى على غير استحقاق من صاحبها وهذا العيب فاش عند بعض الكتاب في بلادنا فترى الواحد منهم يكتب في الموضوع الحسن والمعنى الجيد او يقص قصة مسلية ولكنه يحشوها من دلائل الدعوى والاعتداد ما يمل القارئ ويسبب له العداوة والكره في نفسه مع انه يكون قد افاده من حيث حقيقة ما كتب

يصف الواحد منهم انه لقي رجلاً رفيع المنزلة عالي القدر فيقول مثلاً لقد تشرفت بلقاء فلان فادناني من مجلسه وخصني بعنايته ثم تنازل وتعدى مبلغ قدري حتى قصر حديثه عليّ دون جلسائه مع انهم من ذوي الشرف

والنبل. ومثل هذا الكلام على ما فيه من ظاهر الاشارة الى اتضاع قائله فان فيه من الصلف والخيلاء ما لا يغتفره ذو ذوق سليم بحيث يتمثل قائله في ذهن القارئ على اقبح حالة وارداً خلق ثم يكون له عدواً. واين ذلك القول من وصف الهمذاني لمقابلته احد العظماء اذ قال «فلما لقيته فرشت الارض بيدي فرشاً ونقشت التراب بفمي نقشاً وخطا اليّ خطوات كادت الارض لا تسعها وكادت الملائكة ترفعها» فان الهمذاني هنا على كونه قد جعل نفسه بمنزلة من يعفر وجهه امام العظماء وهو نهاية الضعة فانه قد سما في نفس قارئ كلامه سمواً عظيماً حتى نسي عظمة الممدوح واخذ يتمثل عظمة الهمذاني ولطف نفسه وحسن ذوقه ومثل هذا لا علاقة له بالعلم وصوغ الكلام وانت ترى ان كلا القولين اذا تفاوتا شيئاً من حيث جودة الصنعة وحسن التركيب فقد تفاوتا جداً من حيث الذوق ولطف الايراد بل لو كان القول الاول اجود وضعاً واحلى الفاظاً لما لقي في نفس قارئه من الانبساط والتودد لقائله ما لقيه من القول الثاني

ويقرب من هذا قول المتنبي يصف مقابلة عظيم

فلما رآني مقبلاً هز نفسه اليّ حسام كل صفح له حدُّ
فلم ار قبلي من مشى البحر نحوه ولا رجلاً قامت تعانقه الاسد

فان المتنبي هنا قد علا جداً بنفسه اذ خصها من المديح باكثر مما خص به الممدوح ولكنه تلطف جداً في بيان ما وصف حتى انصرف ذهن القارئ من التأمل في كبرياء المتنبي الى الاعجاب بذوقه والحب لرقة روحه

وهذا وامثاله انما يرجع كله الى الذوق وحده وما احرانا جميعاً ان نروض نفوسنا على هذا الذوق ونتعلمه تعلماً اذا لم يكن فينا سجية فان الناس ينكرون على العالم الحقيقي ثلاثة ارباع علمه اذا لم يكن لطيفاً في بيانه فكم ينكرون على امثالنا ودوننا ودون الحقائق مراحل

المخاصرة

نشرت احدى المجلات الافرنجية مقالة تحت هذا العنوان بقلم احد الاطباء قضى فيها القضاء المبرم على الرقص وعده دائرة نقطة مركزها الشيطان. وقد احببنا تعريبها لحضرات القراء الكرام لا لدفعهم الى هجر حفلات الرقص فان اغلبهم لم يألف عندهم الجنسان النشيط واللطيف والانيس والشارد ولم يأنسوا في المخاصرة هدى ولكن للدلالة اولاً على مبلغ الحرية في القول عند الغربيين على اخلاص في النصح وسداد في الرأي ثم على تجاوز نظرهم الى كل شيء يرون فيه مجالاً لانتقاد او وجهاً لاصلاح وارشاد قال :

ان المرأة من طبعها شديدة التأنق كثيرة التكلف في ملبسها ترتجف لاقل الحشرات اذًى وتحمر خجلاً من رجل تلامسه عرضاً في الطريق. اذا مرت على قليل من الماء مشت على اصابع رجليها وان شمت رائحة دخان عطست وتضايقت وان ركبت في العربة اصابها دوار ولا دوار البحر . فاذا انتقلت بالمرأة التي هذه حالها الى احد المراقص الحلوية فانها تخالف عهدك

بها فهي تتحمل ثمّ ندى الليل دون ان يصيبها اقل زكام وتدور ما شاء اللهو والطرب على نغم الاوتار بين ذراعي رجل دون ان يتولاها ألم الصداع وتصبر ان تداس رجلها ولا تشكو وان تصطدم في دورانها اشد اصطدام ولا تتألم. ثم ترى لحية الرجل الذي يخاصرها او شاربيه تحف بوجهها من شدة الادناء ولا تحمر وجناتها خجلاً وتتنشق انفاسه الممتزجة برائحة الدخان ولا تعطس ولا تظهر استنكاراً او اشمئزازاً. حتى اذا كانت في الخلاء ووقعت في الماء يغمرها الى الركبتين فانها لا تنفك عن الرقص اذا لم يوجد من يوقظها من نشوتها وينتشلها من غفلتها

ألا ان ذلك من الغرابة بمكان يدعو الى السؤال عن معنى هذا التحول وهذا الانقلاب ألعل للمرأة طبيعتين احداهما ضعيفة لطيفة للحياة العادية واخرى قوية نشيطة بلا احساس لحفلات الرقص . لا شك ان الجواب يكون بامتناع ذلك واستحالة افتراضه. بقي ان في الرقص اذن شيئاً يلهي المرأة حتى تنسى ضعفها وانها امرأة . فما هو هذا الشيء يا ترى وما هو هذا الوجدان الذي يستولي على المرأة حتى يذهلها عن مواطن ضعفها وان يحول دون صراخها حين ترى تمزيق ثوبها وانحلال شعرها وتندي جسمها بالعرق. بل كيف لا تقع مغمى عليها حين تشاهد نفسها معلقة بين ذراعي رجل على مرأى من جموع عديدين وكلهم السنة حداد مهيأة للطعن والتنديد. ان اشد الناس سذاجة يدرك معنى ذلك اما انا فلست أرى في هذا الوجدان تأثير لذة تولدت من مباشرة الرقص فقط

ادخل الى مرقص حفته اسباب الطهارة ورفرفت عليه ملائكة العفاف وقد تعمدت ان تقصي عن خاطرك كل ظنون السوء والريب فان ما يتمثل